المتنبي وأزمة الرحيل عن حلب
قراءة نقدية نفسية

الدكتور بسام قطوس / استاذ مساعد
قسم اللغة العربية وآدابها
جامعة اليرموك

ملخص

كان النقاد العرب القدامى يصفون النص الثري (المتعدد) بأنه «حمّال اوجه» وهذا يعني ان النص يستوعب عدداً من القراءات المحتملة من جهة المتلقي ،وأنه ينطوي على اكثر من معنى واحد .

هذه القراءة تحاول ان تستحضر المكبوت والغائب الدّلالي في علاقة المتنبي بسيف الدولة خلال ازمة رحيل الأول عن حلب ، كما تصوّرها قصيدتاه «الميميّة» التي قالها مغاضباً ، و «اللاميّة» التي حاول ان يعتذر فيها بطريقة فنية هي غاية في الجمال والدهشة .

وتُعنى الدراسة في كيفية تشكل الصورة الشعرية لدى المتنبي ، والكشف عن إطاراتها المرجعيّة ، وقدرته في ان يمتاح من مخزونه الفكري المختزن في «لاوعيه» ، وكيفية توظيفه في اللحظة المناسبة . وهي ، إذ تستثمر الغائب الدّلالي لا تهمل الحاضر الدّلالي ، وإنما تتجاوز ما يقال إلى ما يُسكتُ عن قوله ليشكل هذا السكوت عنه موقفاً اكثر إيحاء من القول الصريح .

تسويغ

يبين لنا التحليل النفسي للإبداع الفني أن كل عمل فني ينتج عن سبب نفسي ، ويحتوي على مضمون ظاهر وآخر خاف ، مثله مثل الحلم ، ومن هنا وجدنا من يعرف التحليل النفسي للأدب بأنه تحليل المضمون الخفي للعمل الأدبي . (١) ونظراً لأن الدوافع إلى الأبداع كثيرة ، ونصعوبة تحديد ماهية الإبداع ، يعترف بعض النقاد أن التحليل النفسي الأدب هو تحليل لأعمق الدوافع الكامنة في نفس المبدع ، وترجمة مابقى مستترا فمي «لاوعيه» ، دون أن يهمل الدوافع الواعية ؛ سواء تلك الخارجة عن نطاق العمل الإبداعي : كالرغبة في الكسب المادي والشهرة ، أو تلك التي تدخل في عماية الإبداع ، كالالتزام بقواعد البناء الفني (٢). وقد كتبت دراسات نقدية كثيرة في الأدبين الغربي (٣) والعربي (٤) في هذا المجال ؛ وقفت على بعضها مستلهما البعد النظري ، وممهداً لقراءة المتنبي وفق هذا التصور .

في هذا الدراسة أحاول أن استجيب لهاجس طالما راودني وهو كيف يمكننا أن نفيد من علم النفس ، وبخاصة التحليلي منه ، في دراسة الأعمال الأدبية من غير أن نجور على أدبنا وأدبائنا ؟

---

(١) سامية احمد أسعد ، في الأدب الفرنسي المعاصر ، (الهيئة المصرية للكتاب ١٩٧٦ م ، ص : ٧٥) .

(٢) محمود السمرة ، في النقد الأدبي ، (بيروت ، الدار المتحدة للنشر ، ١٩٧٤ م ، ص ص ٨٦ – ٨٨) .

(٣) انظر ، على سبيل المثال :
سيجموند فرويد ، التحليل النفسي والفن : ليوناردو دافنشي ودوستويفسكي ، ترجمة سمير كرم ، (بيروت : دار الطليعة ، ١٩٧٩ م) . والهذيان والأحلام في الفن ، ترجمة : جورج طرابيشي ، (بيروت ، دار الطليعة ، ١٩٧٨ م) .
كارل يونج ، C.G.Jung
Modern Man in search of A soul, London, kegan Paul,1941.

(٤) انظر على سبيل المثال :
محمد خلف الله أحمد ، من الوجهة النفسية في دراسة الأدب ونقده (القاهرة ، ١٩٤٧ م
محمد النويهي ، نفسية أبي نواس) (القاهرة ، ١٩٥٣ م) .
عز الدين اسماعيل ، التفسير النفسي للأدب ، (القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٦٣ م)

وبعد طول تأمل وتفكير رأيت أنه يمكن لنا أن نفيد من علم النفس التحليلي في أمرين مهمين للدراسة النقدية ، وهما :

الأول : إيضاح أو تفسير المعنى الكامن (الداخلي أو الماوراثي) للعمل الفني وهذا في صلب النقد الأدبي .

والثاني : الأستعانة ، في هذا التفسير ، بمعرفة الحالة النفسية التي كان يعيشها الشاعر قبل إبداع قصيدته ، فكانت حافزاً له على إبداع قصيدته ، ومعرفة مزاج الشاعر في تلك اللحظة الإبداعية أو قبلها .

إنها محاولة تطمح إلى قراءة النص الشعري مستفيدة مما يمكن ان يكشفه لنا علم النفس التحليلي ، وبخاصة مفهوم يونج في « اللاوعي الجماعي »(٥) ونظريته في الإسقاط (٦) ، من عوامل نفسية ساهمت في إبداع العمل الفني ووجهته وجهة معينة كالنقمة ، أو الرفض أو الحب ، أو الازدراء أو القلق أو غير ذلك .وليس يعني هذا أن نميل إلى علم النفس ، على حساب المنهج الفني الذي يقوم على التذوق أولا ، ودراسة الخصائص الفنية وسبر أغوارها ومعرفة مدى مراعاتها للأصول الفنية المتعارفة في أي من الفنون ، وبهذا وحده ، لايفقد النقد الأدبي وظيفته الحقيقية ولايغمض عينيه عن الافادة من العلوم الانسانية ، ويؤكد ، مرة أخرى ، أن النقد فن فيه نكهة العلم .

أما القصيدتان الرئيستان اللتان سأدرسهما فهما « الميمية» و« اللامية» اللتان أشرت اليهما فيما مضى .

---

(٥) The Collective Unconscoins.

(٦) ProjectionTheory (وهي العملية النفسية التي يحول بها الفنان تلك المشاهد الغريبة التي تطلع عليه من أعماقه اللاشعورية إلى موضوعات خارجية يمكن أن يتأملها الاخرون) .
(انظر : ويلهلم رايش ، الإنسان والحضارة والتحليل النفسي ، ترجمة أنطون شاهين (دمشق ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، ١٩٧٥م) ثمة مقال ليونج بعنوان « علم النفس وفن الشعر» ، ص ص ٢١ – ٥١ .
وقاسم حسين صالح ، الإبداع في الفن (دارالرشيد للنشر ، ١٩٨١ م ، ص ص ١٨ – ١٩) .

وقد يخطر للقارىء سؤال عن سبب اختيار هاتين القصيدتين بالذات من بين قصائد المتنبي الكثيرة ؟ والجواب على ذلك يتصل بناحية منهجية تكمن في أن القصيدتين تعالجان أزمة الفراق النفسي التي عاشها المتنبي قبل أن يرحل عن سيف الدولة الحمداني أمير حلب بعد أن توطدت العلاقات بينهما قرابة تسع سنوات ، والقصيدتان موجهتان إلى سيف الدولة الحمداني على إثر احساس المتنبي بموجدة الأمير الحمداني عليه ، واستشعاره بفقدان الوداد الذي كان يمحضه إياه سيف الدولة . إن القصيدتين متزامنتان (٧) ، فقد قيلتا قبل رحيل المتنبي عن سيف الدولة في حلب ومغادرته إلى مصر بعدما حل به في مجلسه من إهانة سكت عليها الأمير الحمداني ، فالقصيدتان يشدهما خيط إنساني رفيع يتمثل في رفض المتنبي للظلم ، ويبدو فيهما ، على الرغم من غضب المتنبي لعدم انتصار سيف الدولة له ، ذلك الحب الحقيقي الخالص الذي يكنه المتنبي لسيف الدولة . ومن هنا فإن القصيدتين تجسدان القلق النفسي والحيرة التي استشعرها المتنبي قبيل مغادرته حلب ، ومفارقته سيف الدولة ، وفيهما يلمح إلى معركة الحساد الذين أفسدوا علاقته بسيف الدولة كما أن فيهما عتاباً مبطناً يكاد يصل الى مرتبة السخط على سيف الدولة وحاضري منتداه من الشعراء واللغويين .

قبيل الرحيل عن حلب :

أحس المتنبي بغير قليل من الالم من حساده الذين يحضرون مجلس

(٧) قيلت القصيدتان سنة إحدى واربعين وثلاث مئة ، وكانت الميمية أسبق بتسعة عشر يوماً ، ومما يدل على ذلك قول الواحدي : دخل أبو الطيب على سيف الدولة بعد تسعة عشر يوماً (يريد من تأريخ الميمية) وادخلوه إل خزانة الآكسيه فخلع عليه ونضح بالطيب ثم أدخل على سيف الدولة ، فسألة عن حاله وهو مستحي ، فقال ابو الطيب : رأيت الموت عندك أحب إلي من الحياة عند غيرك ، فقال : بل يطيل الله عمرك ، ودعا له ، ثم ركب أبو الطيب وسار معه خلق كثير إلى منزله ، وأتبعه سيف الدولة هدايا كثيرة ، فقال أبو الطيب بمدحه وأنشده إياها (يريد اللامية) في شعبان سنة إحدى وأربعين وثلاثمائه) . (انظر : ديوان المتنبي . وضعه عبد الرحمن البرقوقي ، (بيروت ، دار الكتاب العربي ج ، ١٩٨٠ م ، ج ٣ ، ص ١٩٨) .

سيف الدولة الحمداني ويؤلبون عليه قلب الأمير ، تارة بالتشهير به وإبراز عيوبه والتندر بتباهيه ، واخرى بالتشكيك في حبه لسيف الدولة وإخلاصه له .

فبدأ كل واحد منهما (المتنبي وسيف الدولة) يستشعر فقدان الوداد تجاه الاخر ، وكان الحساد من الشعراء والعلماء لايتركون فرصة إلا يوغرون فيها قلب سيف الدولة على المتنبي في السر والخفاء (٨) ، ولكن المتنبي كان يجهر بمعاداتهم وبضعفهم ، فيرد عليهم في مثل قوله :

وما أنا إلا سمهري حملته فزين معروضا وراع مسددا
وما الدهر إلا من رواة قصائدي إذا قلت شعراً أصبح الدهر منشدا
وسار به من لايسير مشمرا وغنى به من لايغني مغردا
أجزني إذا أنشدت شعراً فإنني بشعري أتاك المادحون مرددا
ودع كل صوت غير صوتي فإنني أنا الطائر المحكي والأخر الصدى(٩)

وتذكر إحدى الروايات ان الشاعر أبا فراس الحمداني قال لابن عمه سيف الدولة :

إن هذا المتشدق كثير الإدلال عليك ، وأنت تعطيه كل سنة ثلاثة آلاف دينار على ثلاث قصائد ، ويمكن ان تفرق مئتي دينار على عشرين شاعرا يأتون بما هو خير من شعره ، فتأثر سيف الدولة من هذا الكلام ، وعمل فيه ، وكان المتنبي غائباً ، وبلغته القصة فدخل على سيف الدولة ،وانشده :

ألا مالسيف الدولة اليوم عاتبا فداه الورى أمضى السيوف مضاربا

فأطرق سيف الدولة ، ولم ينظر إليه كعادته ، فخرج المتنبي من عنده متغيرا .

---

(٨) محمود محمد شاكر ، المتنبي ،(القاهرة ، مطبعة المدني ، ١٩٧٧ م) ، السفر الثاني ص ، ٢٢٣) .
(٩) الديوان ، ج ٢ ، ص ص ١٣ — ١٥ .

ويبدو أن المتنبي قد أدرك انصراف الأمير عنه ، وتقريبه لبعض خصومه فأراد انْ يجزي إعراضاً بأعراض ، فأبطأ في مدح الأمير ، ثم أظهر الأمير غضبه بأعراضه عن المتنبي بمحضر من الناس ، فعاد المتنبي خجلا كئيباً قد أسقط في يده ، وأراد أن يستدرك أمره فأرسل إلى الأمير قصيدة يقول فيها :

أرى ذلك القرب صار ازورارا ... وصار طويل السلام اختصارا
تركتني اليوم في خجلة ... أموت مراراً وأحيا مرارا
أسارقك اللحظ مستحييا ... وأزجر في الخيل مهري سرارا
وأعلم أني إذا ما أعتذرت ... إليك أراد اعتذاري اعتذارا
كفرت مكارمك الباهرا ... ت إن كان ذلك مني اختيارا
ولكن حمى الشعر إلا القليـ ... ـل هم حمى النوم إلا غرارا
وما أنا أسقمت جسمي به ... ولا أنا أضرمت في القلب نارا
فلا تلزمني ذنوب الزمان ... إلي أساء وأياي ضارا
وعندي لك الشرد السائرا ... ت لا يختصصن من الأرض دارا
قواف إذا سرن عن مقولي ... وثبن الجبال وخضن البحارا
ولي فيك مالم يقل قائل ... ومالم يسر قمر حيث سارا

فهو يكاد يعترف بذنبه صراحة ، ويعتذر عنه بأنه لم يتعمده ، وإنما هو مسوق إليه ، وان الهموم التي القاها عليه الزمان هي وراء كل ذلك . ثم يحاول ان يذكره ببعض ما قاله فيه مما سار في الا فاق غير ان الأمير لم يقبل منه » ولم يعطف عليه (١٠) .

ويمضي المتنبي في استطالته على الشعراء واستعلائه على الخصوم ، ويمضي أعداؤه في الكيد له ، والوقيعة به ، يخفون الكيد حين يرون إقبال

---

(١٠) يوسف البديعي ، الصبح المنبي عن حيثية المتنبي ، حققه مصطفى السقا وزملاؤه ، دار المعارف ، ١٩٦٣ م ، ص ٨٧ . ومحمود محمد شاكر ، المتنبي ، ص ، ٣٢٢ . والديوان ص ١٩٦ ، وطه حسين ، مع المتنبي ، ص ص ٢٦١ – ٢٦٢ .

الأمير على شاعره ، ويظهرونه حين يحسون من الأمير مللا أو فتورا (١١)
ويصرح المتنبي بمعاداته في قصيدته التي أنشده إياها سنة ثلاث وأربعين و ثلاثمائة ، حيث يقول .

أفي كل يوم تحت ضبني شويعر ضعيف يقاويني قصير يطاول
لساني بنطقي صامت عنه عادل وقلبي بصمتي ضاحك منه هازل
واتعب من ناداك من لاتجيبه وأغيظ من عاداك من لاتشاكل
وما التيه طبي فيهم غير أنني بغيض إلي الجاهل المتعاقل
وأكثر تيهي أنني بك واثق وأكثر ما لي أنني لك آمل
لعل لسيف الدولة القرم هبة يعيش بها حتى ويهلك باطل

فهو يعلن ، صراحة ، ثورته على خصومه ، ويصب عليهم جام غضبه ، ويستعين عليهم بالأمير كما يتضح من البيت الأخير ، وفي هذه السنة نفسها قال قصيدته الميمية التي منها :

لك الحمد في الدر الذي لي لفظه فإنك معطيه وإني ناظم
وإني لتعدو بي عطاياك في الوغى فلا انا مذموم ولا أنت نادم
على كل طيار إليها برجله إذا وقعت في مسمعيه الغماغم

وما كادت سنة خمس وآربعين و ثلاثمائة تحل حتى انشد آخر ما انشده من الشعر ، ميميته التي أذنت بأنقطاع الصلة بينهما ، يقول فيها :

لاتطلبن كريما بعد رؤيته إن الكرام بأسخاهم يدا ختموا
ولاتبال بشعر بعد شاعره قد أفسد القول حتى أحمد الصمم

قال عبد المحسن علي بن كوجك : إن اباه حدثه قال : كنت بحضرة سيف الدولة وأبو الطيب اللغوي (١٢) ،وأبو الطيب المتنبي ، وأبو عبد الله

(١١) انظر طه حسين ، مع المتنبي ، ص ٢٦٧ .
(١٢) عبد الواحد بن علي الحلبي المعروف بابي الطيب اللغوي ، صاحب التصانيف الجليلة ، أصله من عسكر مكرم ، قدم حلب وأقام بها إلى أن قتل في دخول الدمستق سنة (٣٥١هـ)

إبن خالويه النحوي ، وقد جرت مسألة في اللغة تكلم فيها ابن خالويه مع أبي الطيب اللغوي ، والمتنبي ساكت ، فقال له سيف الدولة : ألا تتكلم يا أبا الطيب ، فتكلم فيها بما قوى حجة أبي الطيب اللغوي ، وضعف قول ابن خالويه ، فأخرج من كمه مفتاحاً حديداً ليلكم به المتنبي ، فقال له المتنبي : اسكت ويحك فانك أعجمي ، وأصلك خوزي ، فما لك وللعربية؟ فضرب وجه المتنبي بذلك المفتاح فأسال دمه على وجهه وثيابه ، فغضب المتنبي من ذلك . إذ لم ينتصر له سيف الدولة لا قولا ولا فعلا ، فكان ذلك أحد اسباب فراقه سيف الدولة (١٣) .

ويبدو أن أبا الطيب المتنبي تلكأ عن مدح الأمير الحمداني ، فبدأ سيف الدولة يعتب على تقصير الشاعر في مدحه ، فكان المتنبي يكيل له الأعذار عن توانيه قائلا :

وماكان ترك الشعر إلا لانه تقصّر عن وصف الأمير المدائح

ان هذه الحوادث وغيرها مما كان يجري في الخفاء بين المتنبي وخصومه تجمعت لتترك أثراً سلبياً في نفس المتنبي . فاستغلها الحساد والخصوم ليؤلبوا قلب سيف الدولة عليه ، فبدأ يتوجس خيفة من المتنبي ويشك في حبه وبدأ يمله ، وكان المتنبي يقابل هذا بالإعراض والمبالغة في التمنع ، فيزيد ذلك من غيظ سيف الدولة . ولما زاد الأمر و تكرر هذا الفعل اضطر المتنبي أن ينشد سيف الدولة في محفل من العرب و العجم قصيدته :

واحر قلباه ممن قلبه شبم ومن بجسمي وحالي عنده سقم

معبراً فيها عن قلقه من فتور العلاقة بينهما ، عاتبا على سيف الدولة مدلا فيها بنفسه وشعره ، معرضاً بشانئيه .

---

(١٣) يوسف البديعي ، المصدر السابق ، ص ٨٧ ، ومحمود محمد شاكر ، المتنبي ، السفر الثاني ، ص ، ٢٩٤ .

وقد اضطرب مجلس سيف الدولة لانشاده هذه القصيدة ، واشتد غضب الحاشية ، فسعوا عند الأمير ، واجترأوا على المجاهرة بالنعي عليه والطعن ه ، حتى قال طه حسين : « والشيء الذي لاشك فيه هو ان المتنبي إن وفق لارضاء الفن في هذه القصيدة فقد أخطأه التوفيق لارضاء سيف الدولة»(١٤) إلا ان أبا الطيب عاد بعد تسعة عشر يوماً ، إذ تهيأ له ان التمرب من سيف الدولة ما يزال خيراً من البعد عنه ، بقصيدته اللامية مستقطا فيها كل أحزانه على « محبوبته» التي جعلها رمزاً لسيف الدولة ، دون ان ينسى جرحه الذي جرحه ، فكان يظهر في ثنايا القصيدة في مثل قوله :

قد ذقت شدة أيسامي ولذتهـا فما حملت على صاب ولاعسل

وأخذ المتنبي يستعد للفراق ، فاستأذنه ذات يوم ، في المسير إلى إقطاعه فأذن له . واحتار أين يتجه وهو الذي هجا الإخشيديين والعراقيين ، وبعد طول تفكير اهتدى إلى أن هجاءه للعراقيين كان أشد وقعاً وأكثر إيلاما من هجائه الإخشديين ، ففضل الذهاب إلى كافور ، فخرج من حلب سنة ست وأربعين وثلاثمائة متصنعا انه ذاهب إلى معرة النعمان ، ومن هناك اتجه إلى الجنوب ، ولم يتوقف في حمص ، لأنها من أعمال سيف الدولة(١٥).

الحب اللاواعي :

نترك الان ما قاله الرواة موثقا إلى اصحابه لنقول : إن المتنبي ، على الرغم من مغادرته سيف الدولة إلى غير رجعة ، ظل يذكر سيف الدولة معرضا أو مادحا أو مشاركا بأحداثه ، وظلت عواطفه متأججة قرابة ثلاثين عاماً على غير عادته : إذ كان كلما خرج من عند أمير عزف عن مديحه ونسيبه (١٦) .

---

(١٤) طه حسين ، مع المتنبي (دار المعارف ، ١٩٨٠ م ، ط ١٢ ، ص ٢٦١) :
(١٥) انظر : الديوان ، مقدمة الديوان ، ص ٤٤ .
(١٦) مالىء الدنيا وشاغل الناس ، ص ، ٢٠٨ .

ويرى حسين عطوان (١٧) أن المتنبي أحب سيف الدولة ، لأنه وجد فيه الفتى العربي الأصيل الذي تمثلت فيه كل الخصال العربية التي افتقدها في غيره من الحكام ، فقد وجد فيه الفارس المغوار الذي يحقق كل صفات الرجولة والبطولة التي ربط نفسه بها ، وعاش لها يطلبها ويسعى من أجلها .

ولعل مما يظهر حب المتنبي الحقيقي لسيف الدولة ، على الرغم من كل ما جرى بينهما ، أنه لما بلغه وفاة أخت سيف الدولة الكبرى بميافارقين سنة ثلاثمائة وثنتين وخمسين من الهجرة ، ما كان منه إلا ان رثاها بقصيدة من غرر قصائده ، ومنها :

يا أخت خير أخ يابنت خير أب كناية بهما عن أشرف النسب
طوى الجزيرة حتى جاءني خبر فزعت منه بآمالي إلى الكذب

فأرسل إليه سيف الدولة يشكره ويدعوه إلى زيارته ، الا انه اعتذر وطي اعتذاره عتاب عن تهاونه بحقه (١٨) . حتى حين كان يلج بالمتنبي الغضب على سيف الدولة لم يكن ليستطيع أن يكتم حبه الداخلي ، فكان يتسرب من خلال أبيات في القصيدة وكان « لاوعيه» يجود بما اختزن له من حب حقيقي

القراءة النقدية :

والان اقوم بدراسة فنية للقصيدتين مستعيناً بالمنهج الذي رسمته مبتدئاً بقصيدته « الميمية» على وفق الترتيب الزمني الذي قيلت فيه.

---

(١٧) مقدمة القصيدة العربية في العصر العباسي الثاني ، (بيروت ، دار الجيل ١٩٨٣ م، ص ٣٢٤) .

(١٨) لعل مما يوضح خوفه من الوشاة ، واشفاقه من استئناف حياة يملؤها الحسد والكيد ، قوله من البائية التي أنفذها اليه بعد أن بعث اليه سيف الدولة يستقدمه :

فهمت الكتاب أبر الكتب فسعا لأمر أمير العرب
ما عاقني غير خوف الوشاة وإن الوشايات طرق الكذب
وتكثير قوم وتقليلهم وتقريبهم بيننا والخبب

(انظر ، عبه حسين ، مع المتنبي ، ص ص ٢٧٠ – ٢٧١) .

أولا : الميمية

هذه القصيدة تنم عن نفسية قلقة ، ثائرة ، غير راضية بالوضع في بلاط سيف الدولة ، وتكشف عن إنسانية شاعر قمع في مجلس أحب الناس إليه ، وكان الذي أهانه في غير مستواه من حيث قدراته الابداعية بله حبه سيف الدولة حباً صادقاً . وقد جاءت ألفاظ القصيدة خشنة قاسية تحمل المعنى وضده وتقرع سمع الأمير الحمداني وحاضري منتداه الأدبي ، اذ ما اعتدنا أن يقف شاعر أمام خليفة أو أمير مثلما وقف المتنبي ، فقد كان النقاد العرب يشيرون إلى مبدأ اللياقة في خطاب الخلفاء والأمراء ، وذوي الشأن ، وفي ذلك شواهد كثيرة تجل عن الحصر في هذا المقام .

تدور القصيدة في أربعة محاور ، كل محور منها يخدم الفكرة الرئيسة ، التي تقوم على التضاد بين موقفين :-

الأول - حب المتنبي الحقيقي لسيف الدولة .(مالي اكتم حبا قد برى جسدي!)

والثاني - فتور سيف الدولة بازائه ، وصمته على الحساد الذين اهانوه قولا او فعلا أو برود قلبه ، كما قال المتنبي :

واحر قلباه ممن قلبه شبم ومن بجسمي وحالي عنده سقم

وإذن ، فالفكرة المحورية في القصيدة تتضح في تمرد الشاعر ، وعدم رضاه ورفضه بأن يستمع سيف الدولة لحساده ، وأن يهان في مجلس أحب الناس اليه .

وحول هذه الفكرة ، فكرة الرفض ، والثورة والغليان ، والقلق ، تتداخل العلاقات بين عناصر القصيدة ، لتشكل في النهاية بنية قصيدة المتنبي ، محققة الوحدة الموضوعية والنفسية في آن معا ؛ إذ على الرغم من كون القصيدة تبدو للناظر انها اشتملت على المدح والافتخار والعتاب ، فأن هذه

الموضوعات تلتقي في إطار القلق ، والرفض ، والخوف من مصير علاقته بسيف الدولة من خلال الإيحاء بجو نفسي واحد .

المحور الاول

ويقوم على طرح همّ المتنبي الشخصي وقلقه من نهايات هذه العلاقة بينه وبين سيف الدولة ، (الابيات الثلاثة الاولى) .

فهو يظهر حزنه الشديد وشدة غليانه بسبب حبه الشديد لسيف الدولة وإعراض الاخر عنه وبرود قلبه ، إذ لم ينتصر لهذا الحب ؛ وقد ضمن هذه الأبيات تساؤلا حزيناً ، ولكنه ذكي ، أظهر فيه السبب النفسي الكامن وراء إخفائه حبه وهو شدة حساسيته ، وألمع إلى مناوئيه بأنهم يدعون ، كذبا وزورا ، حبه ، وأنه لايجيد صنعة التملق كما يفعل غيره . وتشي كلمة (أكتم) في البيت الثاني ، بغير قليل من معاناته وكبته إحساساته ومغالبتها من خلال هذه المبالغة في الكتمان التي جاد بها الفعل « كتم» بعد الزيادة والتشديد ، ومن هنا فان الأعطيات لو كانت تقسم بقدر الحب الحقيقي لكان أحرى بالمتنبي أن يفوز بصدر مجلس الأمير ، وبأعظم نصيب ، على هؤلاء «المتشاعرين» المدعين .... ، وأنا هنا أنقل ما في « وعي» المتنبي ، أو «لاوعيه» ليس غير .

المحور الثاني – (ثمانية أبيات من ٤ – ١١) .

وفي حمأة هذا الغليان النفسي ينتقل المتنبي نقلة فنية مبررة محسنا التخلص إلى مدح سيف الدولة ، فيقول :

قد زرته وسيوف الهند مغمدة وقد نظرت إليه والسيوف دم

وكأنه يلفت نظر الامير ومن في مجلسه إلى انه ارسخ قدماً من هؤلاء «الحساد» في علاقته بسيف الدولة ، وانه رافقه في السلم والحرب ، وأنه احق بالصحبة من غيره ، وأنه ، طوال هذه المدة ، خبره ،

فكـان أحـسن خلـق الله كلهمـو وكان أحسن ما في الأحسن الشيم

وهنا يجد الشاعر الفرصة مواتية لمدح الأمير بسبعة ابيات ذكر فيها شجاعته، وشدة بأسه ، ومهابته ، والزامه نفسه اصعب الأمور دون اسهلها ، من قوله:

فـوت العـدّو الـذي يممتـه ظفـر

(إلى قوله) تصافحت فيه بيض الهند واللمم

المحور الثالث

ويبدأ هذا المحور ، وهو اهم محاور القصيدة واوجهها ، إذ يصرح فيه المتنبي بكل ما في نفسه من قلق ورفض ، وتتم النقلة ، من غير تكلف او قفز ، حيث يخاطبه في صدر البيت الثاني عشر قائلاً :

يـا اعـدل الناس إلا في معاملتـي

مسبغاً عليه صفة العدل ، ولكنه يستثني من حكمه عدله في معاملته فحسب .

ثمّ ما يلبث أن يردّه وعيه إلى أنه امام سيف الدولة وليس أمام إنسان عادي يمكن ان يخاطبه بهذه الصيغة الجافة ، فيسعفه ذكاؤه إلى أن يتخلص من هذا المأزق في عجز بيته بأن اعتبر سيف الدولة خصمه وحكمه في آن معاً ، فاستعدى عليه حكمه بقوله :

فيك الخصام وأنت الخصم والحكم

وهنا يبدأ في تقريع سيف الدولة ولومه بطريقة فنية غاية في الذكاء ، متهماً إياه بأنه لا يفرق بين الشحم والورم ، وكأنه يحذره من أن يخطىء بحقه، ويدعوه إلى أن يعرف منزلته بين الشعراء . ثم يقرع سمعه ببيتين قويين فيهما من الحنق والغيظ ما فيهما ، إذ يقول :

وما انتفاع أخي الدّنيا بناظره إذا استوت عنده الأنوار والظلم

أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي وأسمعت كلماتي من به صمم

فما كاد يأتي البيت الأول الذي بدا وكأنه حكمة عامة تفيد بأن الإنسان

إذا لم يستطع التمييز بين الظلمة والنور فإنه لا فائدة ترجى من عينيه ، حتى أكد في البيت الثاني على أن المقصود هو سيف الدولة ، وحاضرو منتداه ، فهو يقول لهم : إن الاعمى ، على فساد حاسة بصره ، قد ابصر ادبي وعرف شعري وان الاصم ، على فساد حاسة سمعه ، قد سمع بشعري ، وان شعري وذكري طارا في الآفاق ، فما حالُ من لم يقدّر شعري حق قدره ، وما حال من لم يعرف منزلتي حق المعرفة ؟

وهكذا يستمر المتنبي ، في ثمانية أبيات اخرى (١٩) بالإدلال بنفسه ، والاعتداد بشجاعته وتفوقه وإبداعه محاولا ان يقاوم عقدة النقص (٢٠) التي استشعرها بعد إهانته في مجلس الأمير وسكوت الثاني على اهانته .

ومن حقنا أن نسأل : ما مبرر الفخر بالنفس والحديث عن الشجاعة في مثل هذا الموقف ؟ والجواب على ذلك ان اعتزاز المتنبي بقوته وشجاعته وحديثه عن فروسيته وقطعه الفلوات له ما يبرّره نفسياً في القصيدة ،وما يجعله متصلا بما سبقه وممهداً لما سيتلوه من قول . إنه يريد أن يلفت نظر الأمير إلى أنه ليس إنساناً عادياً ، وإنما هو فارس شجاع مقدام قادر على مقاطعته مثلما هو قادر على القدوم اليه رغم كل ما يعترض طريقه من مصاعب وأهوال بَلْهَ كونَهُ قادراً على أن يكيل الصاع صاعين لمن اهانه في حضرته ، وان امتناعه عن فعل ذلك ما هو إلا ضرب من الاحترام والتأدب في مجلس من يكتم حبه ، ذلك الحب الذي يَرى جسده على حد تعبيره .

---

(١٩) تبدأ من قوله : أنام (ملء جفوني عن شواردها) ، وتنتهي بقوله : (حتى تعجب مني القور والأكم) .

(٢٠) Feeling of Inferiority صاحب هذا المصطلح النفسي الفرد إدلر A.Adler أحد تلامذة فرويد ، ويرى أن النبوغ مدفوع بالشعور بالنقص ، سواء أكان جسيماً أم معنوياً ، حقيقياً أم متوهماً ، ويرى أن ثمة طرقا نفسية للتغلب على هذا الدافع منها الفن بالنسبة للمبدعين ، وأطلق على هذه الطريقة اسم التعويض (Compensation)
(انظر : فاليرى ليبين ، مذهب التحليل النفسي وفلسفة الفرويدية الجديدة ، بيروت ، دار الفارابي ١٩٨١ م ، ص ٢٣) .

المحور الرابع :

ويدلف الشاعر إلى المحور الرابع(٢١) الذي يتم به بناء القصيدة ، بنقلة فنية لا تقل عن سابقتها جمالا وسلاسة وحسن تخلص ، إذ يخاطبه قائلا :

يا من يعز علينا أنْ نفارقهم وجداننا كلَّ شيء بعدكم عدم

فهو يمتدحه معلناً انه راغب في الرحيل عنه ، على شدة تعلقه به ، وما إنْ يشعر انه تمكن من قلبه بهذا المدح حتى وجه اليه نقداً مبطناً بكل كبرياء واعتزاز بالنفس ، قائلاً :

ما كان اخلقنا منكم بتكرمة لو أن امركمُ من امرنا أمَمُ

ونلحظ هنا اختلاط العتاب بالاعتزاز ، فهو يعز عليه أن يفارق سيف الدولة على الرغم من كونه لم يرع له حرمة ، وما كان أخلقه منه بتكرمة لو كان ممن يحفظ الود . وفي خضم هذا المعترك يطفو على سطح وعيه ما يوحي بعقدة النقص التي احسّها في مجلسه، فيحاول ان يستمزج الأمير مرّة أخرى فيقول :

إن كان سرّكمُ ما قال حاسدنا فما لجرح إذا ارضاكمُ ألمُ

ارأيت إلى هذه الرغبة الجامحة في التكتم على الإهانة ، وفي المداراة ؟! وقبل أن يختم قصيدته يذكره مرة اخرى بالعشرة ، وانه لم يرعها ، وذوو العقول يراعون المعرفة ويقدّرونها حق قدرها . ويتهمه بأنه يبحث له بحثاً عن عيب فلا يجده ، وهذا مما يكرهه الله ، ولا ترتضيه مكارم الأخلاق ، فبالحريّ أن يكافئه سيف الدولة لا العكس .

وبيننا لو رعيتم ذاك معرفة إنّ المعارف في أهل النهى ذمم

ويجد المتنبي الفرصة مواتية ، مرة ثانية ، لمدح نفسه والتحدث عن شجاعته ويخلص منها إلى أن يحمله مسؤولية ارتحاله عنه ، وذلك بداية من قوله : —

(٢١) من قوله (يامن يعز علينا ان نفارقهم) إلى نهاية القصيدة

ما اصعب العيب والنقصان عن شرفي إلى قوله أن لا تفارقهم فالراحلون هم:

ويختتم الشاعر قصيدته بثلاثة ابيات اخرى تتضمن مجموعة من الحكم التي يلمّح فيها إلى ما يجول بخاطره تجاه سيف الدولة فيقول : إنّ شرّ ما كسبه الإنسان هو ما عابه وأذله ، إذ إن عطايا سيف الدولة ، على كثرتها، تعادل تقصيره في حقه وإيثاره لحسّاده . ثم يصرّح بأنه لا فضل لأعطياته اذا ساواه في العطاء مع خساس الشعراء ممن ليس لهم فصاحة العرب ،فيقول:

شرّ البلاد مكان لا صديق بـه وشرّ ما يكسب الإنسان ما يصم
وشرّ ما قنصته راحتي قنـص شهب البزاة سواء فيه والرّخـم
بأي لفظ تقول الشعر زعنفـة تجوز عندك لا عُرْب ولا عَجَمُ

وتشاء عبقرية المتنبي وذكاؤه أن يخفف من غلوائه وعنفوانه قليلاً ، مؤكداً أنّ ما قاله من شعر ، وإنْ أمضّك وأزعجك يا سيف الدولة ، ما هو إلاّ عتاب يجري بين المحبين فباطنه غير ظاهره ،كما أنه ضمن الدّر لحسن نظمه ، وإنْ يكن كلاماً معهوداً في ظاهر لفظه ، حيث يقول :

هـذا عتـابك إلا أنـه منـة قد ضمّـنَ الدّر إلاّ أنه كلـم

لله درّك يا أبا محمد ، إن هذا الكلام ، بحق ظاهره غير باطنه !

وبعد ،

فإن هذه المحاور الأربعة ، على اختلافها ، تتضافر لتقدم لوحة واحدة مكتملة الوحدة ، يبررها منطق القصيدة الداخلي ، وتربط اولا منها بآخر ، وتشد مفاصلها شداً محكماً لا خلل فيه ولا تشتت .

إن حيوية هذه القصيدة وصدقها وحرارتها قد جعلت منها بناء حياً إلى يومنا هذا ، وما كان ذلك ليتم لولا قدرات الشاعـر التعبيرية ، ولولا تمكنه من أدواته الفنية ، وصدق عاطفته ، تلك العاطفة الإنسانية العميقة التي توجه بصيرته الفنيـة ، وتدلّه على ادوات التعبيـر القادرة على امتصاص خلجات نفسه ، واقتطاف قمة غليانه النفسي ، بحيث يشكل عملا فنياً صادقاً فيه نبضه الخاص ، وله طعمه الخاص ، ونكهته الفريدة .

ثانياً : اللامية .

لن تغريني كلمة طه حسين ، الذي رفض الوقوف عند هذه القصيدة ودراستها دراسة مستأنية ، حيث يقول : « ولا أقف عند هذه القصيدة ، فهي لاتعجبني ، وإن أعجبت المعاصرين ، وأرضت سيف الدولة كل الرضا (٢٢) . وإني لأستغرب هذا الموقف يتخذه طه حسين من القصيدة ، فبالاضافة إلى كونها قطعة فنية غاية في الإبداع الفني ، فهي تكشف عن صدق عواطف المتنبي نحو سيف الدولة ، وإخلاصه له ، وصفاء نيته ، ونقاء سريرته . فقد كان في « الميمية» ثائراً ورافضاً بفعل الحساد والخصوم فعاد في « اللامية» يصوب ما بدر منه في لحظة غضب ، فما كاد يناول سيف الدولة نسختها حتى نظر فيها ، فلما انتهى إلى قوله

أقل أنل أقطع احمل علَ سَلِّ اعدْ

زِدْ هشَّ بش تفضل أدْنِ سُرَّ صلِ

حتى وقع تحت كل كلمة ما يناسبها ، ولما وصل إلى كلمة « أعد» وقع : أعدناك إلى حالك من حسن رأينا (٢٣) . وهذا يدل على ان « الميمية » أغضبته ، وفعلت فعلها في نفسه ، فلما قال « اللامية» رضي عنه .

ولعل أول ما يشغلنا في هذه « اللامية» علاقة المتنبي مع محبوبته ، فهي علاقة تقوم على التناقض ، حتى إن السيف لم يبرح خصر المتنبي وهو يزور حبيبته ، فظل قائماً بينه وبين تلك الحبيبة . وهذه إشارة إلى الخوف والحذر ، وانه لم يخلع سيفه حتى وهو في قمة نشوته بلقاء المحبوبة وهو يعانقها ، فمن هي تلك المحبوبة إذن ؟

وقد طرقت فتاة الحي مرتديا يصاحب غير عزهاة ولا غزل

فبات بين تراقينا ندفعه وليس يعلم بالشكوى ولا القبل

---

(٢٢) مع المتنبي ، ص‌ص ٢٦٥ - ٢٦٦ .

(٢٣) الثعالبي ، يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر (دار الكتب العلمية ، ١٩٧٩ م ، ج ١ ، ص ١١٧) .

اية علاقة حب هذه التي يخشى فيها الحبيب على نفسه فلا يفارقه سيفه ؟ إنه حب حذر إذن فيه خوف ومشقة !

وهل افتتاح القصيدة بالوقوف على الأطلال في هذا العصر الذي تطورت فيه الحضارة تطوراً واسعاً له ما يبرره نفسياً ؟ وما الذي شجا المتنبي حقاً حتى بكى وحده قبل أن يبكي أصحابه وأبله ؟ ولماذا استجاب بهذه السرعة واستسلم للحزن ؟

أجاب دمعي وما الداعي سوى طلل ... دعا فلباه قبل الركب والإبل
ظللت بين أصيحابي أكفكفه ... وظل يسفح بين العذر والعذل
أشكو النوى ولهم من عبرتي عجب ... كذاك كنت وما أشكو سوى الكلل
وما صبابة مشتاق على أمل ... من اللقاء كمشتاق بلا أمل

نحن نعرف أن الاطلال تثير في النفس شيئاً خاصاً بتلك النفس ، وليس بالأطلال ذاتها ، ونعلم أن التعبير الفني يأخذ مساحة من نفسية المعبر ، فإن كان سعيداً فإنه يلقي من نفسه على المكان سعادة ، وإن كان حزيناً فإنه يلقي على المكان حزناً وهكذا دواليك ، فما كان ليل امريء القيس (بأطول من الليل العادي) إلا لأنه حزين ! والمتنبي كذلك ، لو لم يكن هو نفسه معنياً بشيء ما يبكيه ، فلماذا يكفكف دمعه ويخفيه عن الركب خوفاً من ان يلحظوه ؟ اليس هؤلاء الأصيحاب يشتركون معه في هذا الإحساس ؟ حقاً إنهم لايشاركونه في قضيته ! لأنه يعاني منها وحده كما يضح في القصيدة.

فأي نوى يشكو ؟ انه يشكو الفراق ، وهم يتعجبون من بكائه ! فقد كان على مثل مايرون من البكاء حين كانت المحبوبة قريبة منه لايحجبه عنها غير الستر ،فكيف وقد حجبها الفراق،فاي ستار بينه وبين حبيبته تلك ؟ وكيف يبكي وهي قريبة منه ؟

أن ذلك الستار النفسي الذي احبه المتنبي هو الستار الذي صنعه حساده من

خلال مجلس سيف الدولة ، وسيف الدولة هو المحبوب المقصود ، وهذا الحاجز النفسي عبر عنه المتنبي في غير بيت في مثل قوله :

مالي أكتم حبا قد برى جسدي
وتدّعي حب سيف الدولة الأمم

أو قوله من هذه القصيدة :

وما صبابة مشتاق على امل من اللقاء كمشتاق بلا امل

إنه أمل ضائع بفعل الحساد الذين جعلوا الشقة بين المتنبي وسيف الدولة بعيدة جداً . وإذن فالوصول إلى الحبيبة وهو هنا (سيف الدولة) ليس سهلا لأنها منيعة في اهلها ، وحبيبها (هو هنا المتنبي) يخشى على نفسه اذا زارها:

متى تزر قوم من تهوى زيارتها لايتحفوك بغير البيض والأسل

ومن هنا فإنه عندما يفكر بالهجر يرى أنه أصعب على نفسه من القتل :

والهجر أقتل لي مما أراقبه أنا الغريق فما خوفي من البلل

قد تبدو هذه المقدمة للدارس أو المتأمل مقدمة غزلية خالصة ، ولكن المدقق في سيرة المتنبي ونفسيته يوم كان عند سيف الدولة ونفسيته يوم أن كان عند كافور لا يمكن ان يخدع بها ، وسرعان ما يدرك أنها مقدمة رمزية في جوهرها تغص بأنواع المشاعر والانفعالات التي تموج بها نفسه ، بعد ان افسد الخصوم والاعداء مابينه وبين سيف الدولة من المودة والصفاء(٢٤).

فهو في الظاهر يتحدث عن محبوبته الممنعة ، وفي الباطن يتحدث عن آماله وأمانيه وسعيه وراء المجد ، فثمة معنى أعمق من المعنى الظاهر يعمل على مستوى « اللاوعي والوعي» في القارىء ، والمتنبي يقوم بعملية تشبه العمليات الدفاعية التي تستخدمها « الأنا» ضد الخارج ، فقد كان في وعيه يحب سيف الدولة حباً حقيقياً ، وقد اختزن هذا الحب حتى استقر في

(٢٤) حسين عطوان ، المرجع السابق ، ص ٢٢٤ .

«لاوعيه» وأصبح حقيقة كامنة وكان كلما حاول كبت مشاعره لامر حادث : كإعراض سيف الدولة عنه ، أو استماعه لحساده ، برز ذلك الحب ، وخرج من مكمنه .

وقد التفت القدماء إلى هذه الناحية الرمزية ، ولكنهم لم يجلوها تجلية واضحة ، فهذا الثعالبي يتحدث عن جملة محاسن المتنبي فيقول : «ومنها مخاطبة الممدوح من الملوك بمثل مخاطبة المحبوب والصديق ، مع الإحسان والإبداع (٢٥) كما التفت المحدثون إلى هذه الظاهرة ، ومنهم عبد الوهاب عزام (٢٦) ، وطه حسين (٢٧) ويوسف خليف (٢٨) ، وحسين عطوان (٢٩) وقد ربطوا ربطاً واضحاً بين حياة المتنبي ونفسيته ، وما كان يثور فيها من المشاعر والانفعالات .

ويحسن أن نتذكر ، في هذا المقام ، ماقاله المتنبي في لقائه بسيف الدولة : رأيت الموت عندك أحب إلي من الحياة عند غيرك ، وإذن فقد فكر المتنبي طويلا في أمر العودة إلى سيف الدولة قبل ان يتخذ قراره بالمقاطعة ، فوجد حقاً أن الهجر أقتل له مما يراقبه ، ووجد أنه أصبح غريقاً فما خوفه من البلل ؟

ومن هنا فإن القصيدة تقوم على محورين يشكلان علاقة ضدية بين موقفين نفسيين ، هما :

المحور الاول

ويصور حالة اليأس والبكاء بسبب الهجر والقطيعة بينه وبين سيف الدولة، ويظهر ذلك منذ بداية القصيدة ويستمر حتى نهاية البيت الخامس حيث يبدأ

---

(٢٥) يتيمة الدهر ، ج ١ ، ص ، ١٩١ ، والصبح المنبي عن حيثية المتنبي ، ص ١٠٠ ،

(٢٦) ذكرى أبي الطيب بعد ألف عام ، بغداد ، مطبعة الجزيرة ، ١٩٣٦ م ، ص ، ١٤٨ ،

(٢٧) مع المتنبي ، ص ص ٢٩٨ – ٣٠٠ .

(٢٨) «مطالع الكافوريات وكيف تصور نفسية المتنبي» ، مجلة المجلة ، العدد السادس عشر ، السنة الثانية ، ١٩٥٨ م ، ص ص ٨٥ – ٩٦ .

(٢٩) المرجع السابق ، ص ص ٢٨٩ – ٣٥٤ .

بإعادة التوازن النفسي ويقارن بين امرين أحلاهما مر ، إذ يقول

والهجر أقتل لي مما أراقبه أنا الغريق فما خوفي من البلل

فهو يعتبر أن هجر سيف الدولة بسبب البعد أقتل مما يمكن أن يحدث له لو أعاد العلاقة ، وكأنه الغريق وما دام غريقاً فإن البلل بالنسبة إليه شيء عارض ، وإذن فهو يدعو نفسه للتحمل ، وبخاصة ان كل الذين يحيطون بسيف الدولة بهم مثل ما بالمتنبي ولكنهم لايتحدثون .

ما بال كل فؤاد في عشيرتها به الذي بي وما بي غير منتقل

ففي هذا البيت نوع من «التعويض النفسي» وكأنه يسلي نفسه عن رجوعه أو عن رغبته في الرجوع ، ويطا منها ، وهكذا يستمر الشاعر في حديثه مبيناً مهابة المحبوبة (سيف الدولة) في قلوب الناس ، وانها مطاعة وان الناس يتشبهون بها وكأنه يشير ، من طرف خفي ، إلى انه لايستطيع أن يقاوم وحده ، وأن الكل يريد الرضا من الأمير ، ثم يختم كلامه موضحاً بعض ما تشي به نفسه القلقة ، فيقول :

قد ذقت شدة ايامي ولذتها فما حصلت على صاب ولاعسل

واضح أنه يخشى نهاية المصير ، فهو يتحدث عن نفسه هو وعن علاقته بسيف الدولة : وهذا ما تؤكده الأبيات القائلة :

فقد أراني الشباب الروح في بدني وقد أراني المشيب الروح في بدلي

فهو الان ليس أهلا للوقوف في وجه احد ، لان عهده قد مضى ، وانه يمكن الاستغناء عنه (إنه يعزي نفسه حقاً) ولكنه يحسن التخلص إلى ممدوحه بطريقة فنية في الذكاء بعد أن بين ضعف حاله فقال :

وقد طرقت فتاة الحي مرتديا بصاحب غير عزهاة ولاغزل

فبعد أن تردد طويلا بين المجيء وعدمه قرر ان يأتي مصطحباً معه سيفه الذي لايكسب الذكر الا من مضاربه . ولكن اي سيف ؟ إنه السيف الذي أهداه إليه الأمير ، وهنا يدخل المحور الثاني :

المحور الثاني

ويقوم على إعادة التوازن النفسي وإعادة الثقة لنفسه ، وهذا واضح من بداية حديثه عن فروسيته وشجاعته من قوله :

لا أكسب الذكر إلا من مضاربه أو من سنان آصم الكعب معتدل

ولكنه عزا هذا الفعل وذاك الشرف (شرف الفروسية) إلى الامير الذي جاد له بذلك السيف ، وهنا وجد الفرصة مناسبة لمدحه فمدحه في بقية القصيدة ، وقد أرسل المتنبي اثنين وثلاثين (٣٠) بيتاً يمدح فيها الأمير الحمداني فوصفه بالشجاعة والكرم وعراقة المحتد ، فكان بارعاً حتى في طريقة مدحه ، وكان لا يترك فرصة إلا يعبر من خلالها عما تجيش به نفسيته ، وكأنه يسقط بعض همومه وبعض ما في نفسه على الحالة التي يعيشها ، فقد رضي بالرجوع إلى الأمير على الرغم من الحاسدين ؛ لانه وجد الحول أخف من العور ، والعور أخف من العمى يقول مخاطباً سيف الدولة :

إن كنت ترضى بأن يعطوا الجزى بدلوا

منها رضاك ومن للعور بالحول

صحيح أنه يتحدث عن الروم الذين حاربهم سيف الدولة ، ولكن من ينظر بعمق إلى المعنى البعيد يدرك أنه يكني فيه عن نفسه ، وكأنه يقول : إن كنت ترضي منهم بأن يبذلوا الجزية وتعفو عن رقابهم فعلوا ، وذلك لإيمانهم بأن الحول أخف من العور ؛ يعني أن الجزية خير لهم من القتل . إنه يخاطب نفسه بطريقة رمزية قائلا : إن مراقبتي سيف الدولة عن بعد أقتل لي من البقاء بقربه ، وقد كرر هذا المعنى في غير ما بيت (والهجر أقتل ... ابيت .)

ومرة أخرى يجد الفرصة مواتية للإدلال بنفسه والاعتداد بشعره ، فيقرن

(٣٠) من قوله : (ومن علي بن عبدالله معرفتي) إلى نهاية القصيدة .

شعره بمجد سيف الدولة ، وأن الاثنين سارا في الآفاق ، وإن كلاً منهما حقيقة لادعوى ، وأنهما أي (شعر المتنبي ومجد سيف الدولة) سارا في الدنيا شرقاً و غرباً .

وهنا ينتهز الفرصة ليطلب من شعره ومجد سيف الدولة (في ثلاثة أبيات). أن يحملا للناس رسالته وهي : قولا للناس أي متقلب في نعماء سيف الدولة مغمور بمكارمه ، متصرف في فواضله ، أقلّبُ الطّرف بين الخيل والخدم:

ناديت مجدك في شعري وقد صـــــدرا
يا غير منتحل في غيـر متنحـــل

بالشرق والغرب أقوام نحبهـــم
فطالعاهم وكونـا أبلغ الـــرسل

وعرّفاهم بأني فـي مكارمـــــه
أقلّبُ الطّرف بيـن الخيـل والخول

إنّها محاولة واضحة «للتعويض النفسي» عن كل ما ألمّ به في مجلس سيف الدولة «خصمه وحكمه» . وهي قطعة فنية غاية في الجمال استطاع أن يوظفها الشاعر كعادته دائماً في نقل مايدور بنفسه من قلق وحيرة وهمّ لبعد سيف الدولة ، واستطاع أن يكسر فيها ذلك الحاجز النفسي الذي منعه من العودة والرجوع إلى سيف الدولة ثانية ، واستطاع أن يتخلص فيها إلى مدحه أحسن تخلص ، وأنْ يقاسمه المدحة بذكاء وفطنة .

وبعد ،

فإنّ هذه القصائد تكشف لنا الأسباب النفسية الكامنة خلف إبداعها ، وأثر «اللاشعور» في خلق صورة الشعرية ، التي وظفها توظيفاً دقيقاً في خدمة موقفه رافضاً ومستسلماً . فقد استطاع المتنبي ، بما يمتلك من أدوات فنية متعددة ، وحس إنساني مرهف ، أن يتسامى بعواطفه إلى طرح همه النفسي ، مؤكداً مشروعية قصائده ، وأصالتها الفنية .

ABSTRACT

This paper attempts at establishing a methodological perspective to study Al-Mutanabbi's two poems: (Al-Mimiyya and Al-Lamiyya). An effort is made to make use of the findings of research in psychoanalysis concerning some psychological factors contributing to literary creation.

The study is also concerned with image formation in these two poems attempting to explore their reference frame work and the ability of the poet to extract from his subconscious intellectual and cultural reservoir and how he employs this reservoir at the right moment.

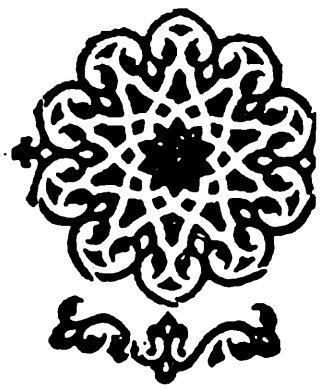

جوانب
من النظام الصوتي في اللغات السامية
(الصوامت)

الدكتور

محمد جبار المعيبد

كلية التربية ـ جامعة البصرة .

اللغات السامية ، هي مجموعة لغات كانت لغة الكلام لأقوام سكنوا ، منذ الالف الثالث قبل الميلاد ، المنطقة المحصورة بين جنوب غرب آسيا وبعض المناطق الشرقية من افريقيا . وبعبارة أوضح : المنطقة العربية من الجانب الاسيوي وأثيوبيا من الجانب الافريقي .

اعتاد دارسو الساميات ، تقسيم هذه اللغات تقسيماً جغرافياً لغوياً الى :

١ ـ اللغات السامية الشمالية وتتفرع الى :

أ ـ اللغات السامية الشمالية الشرقية ، وتمثلها اللغة الاكدية (بلهجتيها الاشورية ـ البابلية) .

ب ـ اللغات السامية الشمالية الغربية ، وتمثلها اللغة الكنعانية (الاوغاريتية والعربية والفينيقية)والارامية (السريانية) .

٢ ـ اللغات السامية الجنوبية ، وتتفرع الى :

أ ـ العربية (لغة الشعر الجاهلي والقرآن الكريم ومابعدهما) .

ب ـ اللغة العربية الجنوبية (لغة النقوش / المسند)واللغة الأثيوبية (الجعزية القديمة ، ولهجاتها الحديثة) .

هذا التقسيم الجغرافي للغات السامية لايعني وجود صفات لغوية تميز مجموعة عن أخرى ، وأنما نجد أحياناً العكس ، وهو وجود لغة في